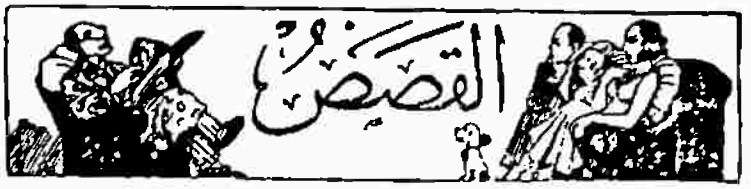

تجربة قاسية

مترجمة عن الانكليزية

إن التغيير المستمر الذي طرأ على مركز المرأة قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية ، ولا تزال الحالة تزداد كل يوم سوءاً

وما دامت المرأة ترى واجبها في الحياة أن تكون أما وزوجة وربة منزل فهي شريكة الرجل في سروره وحزنه وغناه وفقره ، ولكنها متى تركت هذا المجال فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين : إما خادماً للرجل وإما حاكمة له ، ومن أجل ذلك كان أتعس السيدات هن نساء الطبقة التي يدعونها بالطبقة الراقية اللواتي لا يرين أنفسهن في حاجة إلى التفكير في قوت يومهن واللواتي يقضين أيامهن كسالى بليدات ويعهدن بكل واجب من واجباتهن إلى أخريات ، فإنهن أقل شعوراً بالسعادة من سائر النساء

ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير.. فإنها نشأت وظلت طول عمرها لا تقدر مسئولية لشيء ، فهي تنتقل من يد المرضعة إلى يد المربية إلى معلم الموسيقى والرقص دون أن تشعر في هذه الأدوار إلا بأنها مخدومة ، وأن على غيرها واجبات لها وليس عليها لأي إنسان أي واجب

وتزوجت من رجل متقدم في العمر فمات وهي لما تبلغ الخامسة والعشرين ، وقد وجدت نفسها عندموته فتية ذات معجبين كثيرين بجمالها وهي حرة في اختيار ما تريد وترك ما تشاء ، فكانت نتيجة حياتها على هذا النمط أن شعرت بالسأم وأحست بأن الحياة عبء ثقيل عليها ، ، فكان ذلك كل عملها أن تقتل الوقت كأنما هي لا تريد إلا التخلص من حياتها جزءاً فجزءاً

ولكنها مع هذا السأم من الحياة كانت زينة الحياة وبهجتها في أعين كثيرين ، ومن الغلطات الشائعة أن الناس يحسبون أن جميلة العينين وسيمة الوجه تكون حتماً ذات ذكاء يتناسب مع جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان في السيدات من تجتمع فيهن هذه الصفات فإن صاحبتنا البارونة أديل لم تكن كذلك بل كانت روحها قاتمة مظلمة

كانت متوسطة الطول نحيلة شديدة البياض بحيث يظهر في جلدها الناصع لون عروقها الزرقاء. وهي جميلة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين ذهبية الشعر ، ولكن عينيها كانتا أجمل شيء فيها فقد كانت نظراتها الوسنى مثل نظرات الحالم .

وقد قضت سنوات في الحداد على زوجها تتنقل بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وإسبانيا ، وكان أحب أماكن الاصطياف إليها جبال التيرول حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها في غرفة استقبالها . وفي يوم من الأيام أرادت أن تعلق إحدى قمم الكلة بالجليد فلبست ثوباً من الفرو وأمسكت بعصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل الغروب ، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت الشمس قد غابت . ثم وجدت أنها ضلت الطريق وأصبحت محاطة بحفائر مكدسة بالثلج بحيث لا تستطيع العودة ولا الاستمرار في المشي .

وحاولت عبثاً أن تجد لها منفذاً ، فرأت من المستحيل أن تتقدم أو تتأخر أو تعلو أو تهبط فاستغاثت بأعلى صوتها ، ولكنها لم تسمع غير صدى صوتها فأخرجت من جيب معطفها مسدساً وأطلقته ولكنها لم تسمع غير دوي الطلقات ، فخارت

المجاهد العظيم في هذه المناسبة العظيمة ؟

ألا يقتضينا الولاء قبل الإنصاف أن نسجل للرسالة هذا الفخر الفاخر بكلمة تكتب أو كلمة تقال ؟

إني أقترح على راعي هذه المجلة العظيم الأستاذ الزيات بك أن يخرج من العدد الألفي عدداً ممتازاً ..

وإني أدعو أدباء العربية أن يتبادروا المشاركة في هذه المأثرة الأدبية النادرة — تحية الرسالة بمناسبة عددها الألفي !

محمد الأسمر فاروط

قواها وجلست على صخرة بعد أن أزالت ما عليها من الجليد وظلت تبكي .

وبعد ربع ساعة مر عن كثب منها رجل يصفر فنادته وكلمته بلهجة لم تتكلم بها منذ سنوات وهي لهجة التوسل والضراعة، وطلبت إليه أن ينقذها فمشى نحوها رافعاً قبعته محيياً باحترام . وعرض عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت من ثيابه ومن الأسلحة التي يحملها أنه من هواة الرياضة والصيد . ودلتها هيئته على القوة والإعجاب .

قال لها : « اسمحي لي أن أحملك »

فقالت : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً »

قال : « لادعي إلى مثل هذا القول »

ثم حمل البارونة بين يديه فشعرت وهي محمولة بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه الحارة تدفئ خديها فتساءل نفسها أي شعور هو الذي تجده في نفسها في هذا الوقت ، هل هو الحب ؟

فلما وصل بها إلى الفندق الذي تقيم فيه شكرته ودعته إلى زيارتها ووعدها بأن يرافقها في فرصة أخرى إلى جبال التيرول .. وسألته عن اسمه فقال إنه فرديك فون فاردورف

قالت : « أنت ذلك الروسي الشهير ؟ لقد سمعت اسمك يتردد كثيراً في الأوساط العالية »

فأخبرها فاردوروف بأنه من أسرة ألمانية تنتمي إلى أصل روسي ، وأن ضياعه في كورتلاند ولكنه لم يزرها منذ سنوات لأنه كان في العهد الأخير يزور بقاعاً مختلفة من الأرض

وفي اليوم التالي زارها فاردوروف ودار الحديث عن زياراته لأمريكا الجنوبية وإفريقيا الشمالية وقرأ لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف . وكانت تصغي إلى حديثه متلذذة وتدعوه إلى تكرار زياراته فكررها . وسارت بعد ذلك تخرج معه إلى جبال التيرول وإلى غيرها من المتنزهات وتدعوه لتناول العشاء كل ليلة فأخذ الناس يتحدثون عن علاقتهما وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم التفاهم على شيء من ذلك

وفي ليلة من الليالي كانا جالسين معاً في المنزل فقالت إديل « إننا سنفترق سريعاً يا فاردوروف » فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأنني تغيبت عن منزلي طويلا وأريد العودة ، فهل تزورني هناك ؟ » فقال : « ما الذي تعنين ؟ هل تحبين ألا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذي تعنيه أنت ؟ إنني أنا ثر كثيرا إذا ابتعدت عنك » فقال الروسي بلسان متلعثم : « هل تسمحين ؟ . . . ألا يغضبك . . . ؟ »

قالت : « تكلم ! ما الذي يمنعك من الكلام » فقال : « إنني أحبك يا إديل »

فأطالت البارونة التحديق في وجهه فقال : « لا تمنعيني عن الكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : (ولكنني لم أعد أومن بالحب) فقال الروسي : (أعرف ذلك ولم أعال نفسي قط بأنك ستجازينني على حبي بمثله ولكنك قلت لي مراراً إنك تعيشين بغير غرض ولا تسرين من أي بواعث السرور فعيشي معي زوجة لي وأنا الكفيل بأن ينشأ في قلبك ميل لي بعد الزواج)

فنظرت إديل نظرة شاردة من النافذة دون أن تجيبه بأي جواب وسكت الروسي لحظة ثم قال : (قولي ياسيدتي بكلمة منك إما حياتي وإما موتي)

فأجابته وهي تبتسم : (الحياة أو الموت ؟)

قال : (نعم إنني أعني ما أقول فإني أفضل الموت إذا لم تحبيني .. فقالت المرأة التي لا قلب لها : (هذا مجرد تعبير)

قال : (كلا ولكنه الحقيقة فاختاري لي الحياة أو الموت) فقالت (إنني سأعطيك مهلة عام فإذا لم تستطع في خلالها إقناعي بأنك تحبني حقيقة واذا لم تستطع أن تبعث في نفسي عاطفة الحب نحوك فإني سأقضي عليك بأن تقتل نفسك)

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكا عاليا فقال الروسي وهو عابس مقطب : (اذا حكمت بعد انقضاء العام بأنه لا أمل في الحياة معك فإني أفعل كما تريدين ولكن يكون لي عندك رجاء آخر)

قالت : « ما هو ؟ » فقال : « أن تقتليني أنت »

قالت . « لك ذلك » فقال : « ولكن هل تستطيعين ؟ »

فقالت « ولم لا ؟ إنه يستوي عندي أنا أن تقتل عندي نفسك من أجلي أو أن أقتلك بيدي » فقال الروسي : « إذن فعاهديني على

أنه بعد انقضاء العام إما أن تقتلني أو تتزوجي مني »

قالت : « أعاهدك على ذلك ولكن يجب أن تتذكر أنت أيضاً تعهدك عند انقضاء العام وألا تنتظر مني رحمة »

فقال: «لاوسط بين الحالتين فإما أن تكوني لي وإما أن أموت»

ومد كلاهما يده إلى الآخر فتعاهدا على ذلك

ومضى العام وهما يعيشان معاً في منزلهما بفينا وكان الليل ساجياً من ليالي الربيع الجميلة وهي جالسة على شرفة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها فقالت : (هل نسيت ؟)

قال : (نسيت ماذا ؟) فقالت : (هل نسيت عهدنا ؟ إن اليوم موعده) فمرت جسم الرومي رعشة باردة وقالت له همساً : (أدن مني وأخبرني ما هو رأيك اليوم في تعهدك قبل أن تسمع حكمي)

قال : (إنني أرتعش ...) فقالت : (إذن فاسمع الحكم : (إنك قد أقنعتني بأنك تحبني فليس عندي شك في ذلك ...)

وهنا ارتمى الرومي على قدميها ليقبلهما فقالت : (لاتتسرع فإنك لم تسمع بقية الحكم)

فقال : ما الذي تعنين ؟ فقالت : (إنك أقنعتني بأنك تحبني ولكنك لم تستطع أن تجعلني أحبك)

قال : (ما أشد قسوتك يا إديل !)

فقالت : « إنني أكلمك كلاما صريحا شريفاً »

قال الرومي : « أنا عند حكمك إذن فاقتليني »

فقالت : «هكذا سأفعل فاني ذاكرة عهدي. وروحك الآن في يدي ولن أتركها هبة لك. إنني لاأحب ولكنني أريد أن أكون محبوبة وأن يحبني من يحبني فيموت تحت قدمي وأنا أنظر إليه نظرة احتقار »

قال : « هل تجدين فيما تقولين ؟ » فقالت (ألا تصدق ؟ هل حبك لنفسك أكثر من حبك لي ؟)

قال : (كلا كلا : وإني مستعد للموت) فقامت وعادت وفي يدها زجاجة صغيرة مملوءة بسائل أسود وقالت : (اشرب هذا) .

فتناولها وقال : أشرب في حبك يا إديل ثم قال : (ناوليني يدك فإن قواي تخونني) .

ثم أظلمت الدنيا في عينيه . وبعد ساعتين أفاق فوجد رأسه على حجرها وهي تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة دالة على السعادة

قال : (ما الذي حدث ؟) فناداته باسمة بصوت عذب فقال: (هل أنا أحلم الآن ؟ ألم أمت ؟)

قالت : (كلا وستعيش وستكون لي زوجا فإني أحبك كما تحبني) فقال . (وماذا كان السائل الأسود الذي في الزجاجة ؟ ألم يكن سما ؟)

قالت (كلا ، ولكنه مخدر) فقال : (لماذا ؟)

قالت : (لكي أجربك) فوقف الرومي مسرعا وقال: تقولين إنك تحبينني؛ ولكنك مع ذلك تتركينني أقاسي أشد الآلام بقصد اللهو والتسلية. إن المرأة التي تفعل ذلك لاتستطيع أن تملك قلبي)

قالت إديل بصوت الخائف : (ألم تعد تحبني يا فاردورف ؟ ما الذي جعلك تتغير هذا التغير الفجائي؟ ألم تعد تحبني ؟) فقال : (إنني لا أحبك الآن ولن أحبك في المستقبل ، وداعاً !)

فطوقت إديل عنقه بذراعيها وقالت . (أستحلفك بحق السماء ألا تجعلني أتعس إنسانة في الوجود) فقال : (أنت التي أتعستني وأتعست نفسك . وداعاً)

قال ذلك ثم تخلص منها فارتمت على قدميه ولكن ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج مغضبا

ولما جاءت الخادمة وجدت إديل مستلقية على الأرض جثة هامدة

ع . ه

لجنة النشر للجامعيين تقدم

في ثوب أنيق وطباعة ممتازة

ديوانا من شعر الأداء النفسي

وحدي مع الأيام

الشاعرة البدعة

الآنسة فروى طوقان

يطلب من مكتبة مصر بالفجالة ومن جميع المكتبات الشهيرة

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق ثقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة